

ليبرمان لا يخفي شيئاً . وزلزال اوباما سيحرك الخط الأخضر «وفق الحاجة»

دولة جنيف الفلسطينية . قضية للتاريخ ووطن على جواز سفر



حين تحدث وزير خارجية اسرائيل اليميني المتطرف افيدغور ليبرمان عن شطب القضية الفلسطينية من قاموس وزارته فانه لم يكن يهزل ولكنه كان يعلن عن خبر تكتمه كثيرون في حين انه يترجم على الأرض يوماً بعد يوم. وليس كل الاشارة كذابين دائما منهم من يتمتع بدرجة من الصفاقة والجموح تجعله يصرح بما لا ينبغي التصريح به من هذه الزاوية فالفرق بين ليبرمان ورئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتانياهو او غيره من القادة الاسرائيليين ان الاول لا يكثر بتغليف افكاره او تزيينها في حين ان الآخرين يجيدون الكذب واللعب بالالفاظ وصياغة الافكار ذاتها بعبارة فضفاضة تخدع المتلقي وتجعله يبلعها دون ألم هذا ما بدأه تقرير نشره الموقع الالكتروني لقناة « الجزيرة».

ويرى التقرير انها مصادفة ان يصرح ليبرمان بكلامه هذا في حوار نشرته له صحيفة «يديعوت آخرونوت» بعد اسبوع من نشر موقع الجريدة ذاتها مقالاً لكاتب مهم هو رون بن يشاي تحت عنوان: استعدوا لهزة (سبتمبر) تحدث فيه عن هزة كبيرة ستقع في الشرق الأوسط خلال هذا الشهر سيتم خلالها خلط الأوراق من جديد بحيث تجلس الجهات الفاعلة في المنطقة على الطاولة ليبحث كل الملفات العالقة (من وجهة النظر الإسرائيلية الطبيعية الحال) من اطلاق سراح الجندي الأسير غلعاد شاليط الى الملف النووي الإيراني. وتحدث عن ان اطلاق سراح شاليط سيفتح الباب لرفع الحصار عن غزة وان خطة اوباما لحل النزاع ستكون بمثابة خريطة طريق جديدة وستتركز على محورين احدهما تجميد الاستيطان مقابل بدء تطبيع العلاقات مع الدول العربية «المعتدلة» والثاني بدء المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي وهي العملية التي يفترض ان يتم تدشينها احتفالاً في لقاء قمة يعقد على هامش الجمعية العمومية للأمم المتحدة يحضره اوباما ونتانياهو والرئيس الفلسطيني محمود عباس.

حجر الأساس

في هذه الأجواء تسلط الاضواء بقوة على مسألة الاستيطان التي أصبحت حجر الأساس في مشروع التسوية اذ بعد جدل ومساومات حول المدة التي سيتم خلالها وقف أو تعليق الاستيطان تحدثت الرجلان عن مدة تسعة أشهر علماً بان الكلام يشدد على انه وقف مؤقت. وما ان ذاع الخبر حتى اتصلت اسرائيل منه اذ تبين انها تنوي الاستمرار في بناء 5970 وحدة سكنية جديدة في القدس والضفة الغربية بينها 700 وحدة تم اقرارها خلال الايام القليلة الماضية قبل ان يتقرر التجميد رسمياً أما بقية الوحدات السكنية فقد تدرعت اسرائيل بان بعضها (2500 وحدة) بدأ البناء فيها قبل شهرين عدة وان هناك اتفاقات مع المفاوضين بهذا الصدد لا يمكن التخلص منها وما تبقى بعد ذلك من ابنية ستتم اقامتها في القدس التي تعتبرها حكومة اسرائيل موضوعاً خارج المناقشة. وأثناء الزيارة الحاطفة التي قام بها خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» الى القاهرة على رأس وفد من أعضاء المكتب قال ان الجميع ينتظرون مشروع اوباما الذي يفترض ان تعلن محتوياته بعد اسبوعين تستثنى من ذلك اسرائيل التي توصل اتفاق الارض وسط الجدل الدائر حول تعليق الاستيطان أو وقفه وهي واثقة من قدرتها على الاحتياط والانتظار.

رؤية قاتمة

واضاف ان قارئ التاريخ الفلسطيني يذكر جيداً انه أثناء مفاوضات لوزان التي جرت لتطبيق القرار 194 الخاص بعودة اللاجئين (بين عامي 49 و1950) فان بن غوريون أفضل المفاوضات رغم الضغط الأمريكي وفي هذه الاثناء دمر 400 قرية عربية واستقدم 800 ألف يهودي من البلاد العربية. ويقول فهمي هويدي في تقرير ان رؤية مشعل للمشهد الفلسطيني الراهن يمكن قراءتها من زوايا عدة: < اسرائيل تتحرك حثيثاً باتجاه تصفية القضية غير مبالية بما يقال عن ضغوط ومشاريع مطروحة وسوف تتعامل مع الضغوط لامتناعها، مطمئنة الى انها عم واشتغل بوجه اخضر لن تصل الى نقطة التقاطع أو التصادم، وما حدث مؤخراً في شأن تسريع عملية الاستيطان، يؤكد ذلك، فقد اعربت واشنطن عن «قلقها» و«عنتها» ازاء موقف حكومة نتانياهو ثم نقلت الاذاعة العبرية عن مسؤول مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي قوله ان التعقيب الأمريكي لم يكن شديد اللهجة وانما كان منضبطاً واتسم بلهجة ايجابية وذكرت «يديعوت آخرونوت» ان اسرائيل لم تفاجئ واشنطن بما اقدمت عليه، لان الادارة الأميركية كانت على علم مسبق بخطوات حكومة نتانياهو، ما يعني ان كل شيء يتم بشفاقة وتنسيق. < الادارة الأميركية تعد الآن افكارها لاطلاق المفاوضات وتحقيق التسوية السلمية ورغم ان هذه الافكار لم تعلن رسمياً بعد فان القدر الذي عرف منها حتى الآن لا يبعث على التفاؤل أو الاطمئنان واذما ما وضعنا في الاعتبار ان السياسة الأميركية ترسم في الكونغرس الذي تملك اسرائيل نفوذاً قوياً فيه وليس في البيت الأبيض فاننا نعتبر الاتجاه الى مقايضة تجميد الاستيطان المؤقت بالتطبيع يمثل انقلاباً حتى على المبادرة العربية التي اعلنتها قمة بيروت (2002) وهي التي تحدثت عن الانسحاب الكامل مقابل التطبيع، واذما تذكرنا ان عدم التطبيع هو خط الدفاع الأخير الذي تملكه الحكومات العربية في دفاعها عن القضية الفلسطينية، فان انهيار ذلك الخط يعد أحد قرائن تصفية القضية وشطبها. < الدول العربية لم تتحدد موقفاً رسمياً حتى الآن ومن الواضح انها تتعامل بحذر مع الافكار الأميركية التي يجري الحديث عنها. ومعلوماتنا ان مصر تحفظت أثناء زيارة الرئيس مبارك لواشنطن على فكرة مقايضة تجميد الاستيطان بالتطبيع واعتبرت ان ذلك لا يحقق اي تقدم في التسوية السلمية كما ان التسوية رفضت ان تدخل في الصيغة التي اريد بها اشرافها في اجراءات التطبيع عن طريق السماح للطيران الإسرائيلي بعبور مجالها الجوي أثناء الرحلات المتجهة الى اسيا.

< في الشق المتعلق بالسلطة الفلسطينية هناك المصايد تدل على ان الرئيس عباس ورفيقه لم يعودا راغبين في المصالحة مع حركة «حماس» وان هناك اتجاهاً لبقاء الوضع كما هو حتى نهاية العام بحيث يحل محل موعد الانتخابات الرئاسية والتشريعية في شهر يناير المقبل في ظل استمرار الخصام وفي هذه الحالة تجري الانتخابات في الضفة الغربية دون غزة بحيث تصبح الضفة هي قاعدة الدولة الفلسطينية والمتمثلة لمشروعها ما يؤدي الى اخراج غزة وحركة «حماس» من الصورة تماماً. وفي ظل انتخاب مجلس تشريعي جديد تهيمن عليه قيادة «فتح» يمكن الانطلاق بعد ذلك نحو التسوية التي تستجيب للشروط والمواصفات الإسرائيلية ويتابع التقرير الذي تحت السلطة الخطر وافرح بكثير مما فوق السطح في الساحة الفلسطينية ذلك انه في حين يشغل الرأي العام ووسائل الاعلام بالصحيح المتأرجح حول ملف الاستيطان فان الحكومة الإسرائيلية مازالت ماضية على نهج بن غوريون الذي سبقت الاشارة اليه المتمثل في الاقدام على هدم مئات القرى

القدس القديمة حاضرة في بنود

الملحق الأمني ك «منطقة مشتركة»

تحرسها قوات دولية

السلطة تملك «حق» طلب قذائف

«آر بي جي» من القوة الدولية

«محاوية إرهاب حماس»

واستقدام مئات الآلاف من المهاجرين في حين كان الجدل مستمرا في لوزان حول عودة اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم. والجدل الراهن حول الاستيطان صرف الانتباه عن أخطر سرقة قامت بها اسرائيل لتغيير ملكية اراضي الفلسطينيين، ونقل هذه الملكية الى اليهود، الذين يتساقفون الى شرائها الآن من مختلف أنحاء العالم. وهو ما يعد خطوة بعيدة المدى باتجاه محو فلسطين من الوجود، وليس فقط شطب القضية وكان التقرير الاستراتيجي الفلسطيني عن عام 2008، الذي صدر قبل اسابيع عدة قد ذكر ان اسرائيل صادرت نحو 900 ألف دونم من اراضي الضفة الغربية استناداً الى قانون صدر سنة 1858 (في العهد العثماني) يقضي بالاستيلاء على الاراضي التي لا تزرع طوال ثلاث سنوات.

دولة واقع

اجرت صحيفة «تايمز» البريطانية حواراً مع رئيس حكومة رام الله د. سلام فياض قال فيه انه يسعى في الوقت الراهن الى تأسيس واقع فلسطيني في الضفة يقوم على ثلاثة عناصر هي: انشاء أجهزة أمنية مخترفة وقادرة، وتوفير خدمات عامة جيدة للفلسطينيين واقامة اقتصاد مزدهر ولم يشتر بكلمة الى التحرير أو الحدود أو السيادة، وانما اكتفى فقط بهما «المجلس البلدي» الذي تسعى اسرائيل لحصار الدولة الفلسطينية في حدوده.

ويبدو ان الامر ليس جديداً فحسب مقال كتبه المحلل السياسي الإسرائيلي اليكس فيشمان في «يديعوت آخرونوت» قال «كل شيء جاهز ولم يتبق غير التوقيع»، وكشف فيشمان تفاصيل الملحق الأمني «وثيقة جنيف» الشهيرة التي وقعتها قبل سنوات ياسر عبد ربه ويوسي بيلين وأشارت ضجة كبيرة في حينه بسبب تنازلهما العلن والواضح عن حق العودة للاجئين. والآن يتبين ان مشروع وثيقة جنيف لم يتوقف عن العمل طوال السنوات الماضية. وفي المفاوضات التي استمرت عاما ونصف العام لانجاز الملحق الأمني للوثيقة شارك من الطرف الفلسطيني حوالي أربعين من الشخصيات السياسية والفكرية بالغة الأهمية في حين يؤكد الاسرائيليون ان الرئيس محمود عباس كان متابعاً لتفاصيل المباحثات يوماً بيوم ما يعني مباركتها لما ورد في نص الملحق.

ويتصدر الشخصيات الفلسطينية الوزير السابق سمح العبد، ومباركة واطلاع داهم من ياسر عبد ربه الى جانب آخرين من السلطة وفتح، من بينهم زياد أبو عين، وقدورة فارس، ومحمد الحوراني وهشام عبد الرزاق، وسمير عبد الله، وأشرف العجمي، وتيسير عاروري، وسمير حليبة، وايباد السراج، ونيل قسيس، وساجي سلامة، وحكمت زيد. من الطرف الإسرائيلي هناك ستون شخصية على درجة كبيرة من الأهمية والرمزية من القطاعات السياسية والعسكرية والأمنية والفكرية، يتصدرهم العميد احتياط شلومو بيروم الذي عمل رئيساً لقسم التخطيط الاستراتيجي

في الجيش الإسرائيلي ونائب مستشار الأمن القومي، العميد احتياط ايلان باز، والعميد احتياط دوف تسيدكا وكلاهما كان رئيساً لادارة المدنية في الضفة الغربية والجنرال احتياط شأؤول أرئيلي رئيس طاقم السلام في عهد اليهود باراك وبوغز كارني رئيس مجلس ادارة مبادرة جنيف اضافة الى شخصيات فكرية وسياسية مثل ديفد غروسمان وديفيد كيمحي وبالطبع يوسي بيلين وآخرين. والملحق الجديد بالغ الأهمية، ليس فقط بتبنيه من الطرف الفلسطيني تحديداً من الرئيس الذي يسيطر عمليا على فتح ومنظمة التحرير ويطمع بالشرعية العربية والدولية فحسب وانما بتبنيها من الطرف الأمريكي اذ اطلعت عليها وزيرة الخارجية ورئيس مجلس الأمن القومي وتمت دراستها بشكل دقيق بحسب اليكس فيشمان في «البنترافون» الذي صار أكثر تدخلا في الشأن الفلسطيني من زاوية حرصه على تقدم يساعد في جلب المساعدة العربية في خروج امريكا من المستنقعات التي خلفها جورج بوش في العراق وأفغانستان. وبدوره ذهب رام ايمانويل كبير موظفي البيت الأبيض الى ان مبادرة جنيف وملحقها الأمني هي أساس الحيوية الدائمة اما الحكومة الإسرائيلية فلم تعط الموافقة عليه لكن اليوم الذي ستواجهه الموافقة عليها ليس بعيداً كما يرى اليكس فيشمان.

تفصيل وتفصيل

في الملحق تفاصيل تؤكد حقيقة الوقت الطويل الذي صرف في كتابة بنودها وكذلك أهمية الخبراء الذين ساهموا في صياغتها ولذلك فان متابعتها في سطور كهذه ليست سهلة بحال وقد تبدو كاركاتورية بالنسبة لبعض القراء من زاوية التفاصيل التي لا يعرفها سوى الخبراء في جغرافيا الضفة الغربية. ثمة تفاصيل مملة حول حركة الفلسطينيين والإسرائيليين في مناطق الضفة وبالطبع تبعا لحقيقة بقاء الكتل الاستيطانية الكبيرة في مكانها هي التي تقطع اوصال الضفة الى ثلاثة «كانتونات» وتبعاً لحقيقة ان أجزاء من القدس الشرقية ستكون مشتركة فضلاً عن وجود قوات دولية سيكون لها دورها في التنسيق بين الطرفين ولذلك توجد جسور واتفاقيات وطرق التفاوضية بتفاصيل غاية في الدقة.

القدس تبدو أكثر حضوراً في بنود الملحق وتحديداً القدس القديمة التي سيكون بإمكان الإسرائيليين والفلسطينيين المرور عبرها من دون جوازات سفر (هناك مناطق في الضفة تتطلب المرور عبرها حمل جوازات السفر) وسترابط فيها قوات دولية الرأثر الذي يتوجه الى منطقة المسجد الأقصى سواجها قوات متعددة الجنسيات غير الأولى مهمتها فرض الوضع القائم في مجال الحفريات الأثرية للبحث عن الهيكل الذي يزعمون وجوده في المكان.

العنصر الأول في الملحق هو مبدأ نزاع السلاح وفي هذا السياق ينقل فيشمان عن العميد بيروم قوله «هنا كان يتوجب علينا

الفرق بين ليبرمان ونتانياهو أو غيره أنه لا يكثر بتغليف أفكاره العنصرية ضد الفلسطينيين

«يديعوت آخرونوت» تحدثت

عن زلزال سياسي سيضرب

الشرق الأوسط خلال شهر سبتمبر

إسرائيل تتحرك حثيثاً باتجاه

تصفية القضية غير مبالية بما يقال

عن ضغوط ومشاريع مطروحة

الجدل حول الاستيطان صرف الانتباه

عن أخطر سرقة إسرائيلية لملكية

أراضي الفلسطينيين

خطة فياض تستبدل التحرير

والحدود والسيادة بـ «مجلس بلدي»

تحاصر إسرائيل الدولة في حدوده

رام إيمانويل كبير موظفي البيت الأبيض

يعتبر «مبادرة جنيف» أساس

التسوية الدائمة

محاولة تريبع الدائرة من جهة اتاحة المجال للسلطة كي تحتفظ بقوات ذات فعالية كافية لإداء المهمات الأمنية الداخلية الخاصة بها من ناحية أخرى الحرص على الا تشكل تلك القوات تهديداً عسكرياً تقليدياً لإسرائيل عموماً نقطة الانطلاق بالنسبة لنا كانت تجنب ان يكون وضع اسرائيل الأمني بعد التسوية الدائمة أقل جودة وهي مسألة لا يمكن تغييرها».

حجم القوة الفلسطينية وكمية السلاح الشخصي الذي تمتلكه ليست محددة في الملحق بصورة مقصودة لكنه يفصل بصورة دقيقة ما الذي يحظر على الفلسطينيين الاحتفاظ به: دبابات، صواريخ، سلاح مضاد للطائرات وأدوات ابحار ومدفعية من أي نوع كان وراجمات والغام ورشاشات تزيد على 62.7 ملمتراً وسلاح اشعاعي آخر ومروحيات قتالية وطائرات حربية وطائرات بلا طيار وأدوات ابحار مسلحة (باستثناء القوارب الخفيفة حتى 25 طن المزودة بسلاح خفيف) وسلاح الابادة الجماعية وستكون بأيدي القوات الفلسطينية أربعمئة عربة «آلية» خفيفة وتحمل أنواع السلاح المباح فقط: سلاح خفيف ووسائل باردة لتفريق المظاهرات.

خلال المفاوضات قال الفلسطينيون انهم يحتاجون قاذفات «آر بي جي» لأغراض الصدام مع «جهات اريهابية» وكذلك الى مواد ناسفة وقنابل يدوية ما اتفق عليه الجانبان هو ان تكون القنابل والمواد الناسفة والأسلحة الخترقة للمدركات والتي لا تعتبر صواريخ مضادة للدبابات بيد القوات متعددة الجنسيات كلما أراد الفلسطينيون تنفيذ قتال هجومي ضد الإرهاب فيستوجهون لطلب هذا السلاح من القوات متعددة الجنسيات.

كوستاريكا واندورا

نموذج الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح التي يخطط لها في الوثيقة ليس موجوداً في أي مكان في العالم باستثناء كوستاريكا مع ان نموذج نتانياهو لتلك الدولة هو اقرب الى «اندورا» وبحسب اللواء احتياط شأؤول أرئيلي «لا أحد يعرف كيف تدار دولة منزوعة السلاح المشكلة الأخرى هي أننا لا نملك مع الفلسطينيين خط حدود امني طبيعي خط الحدود يرتكز على موقع المستوطنات الكبيرة الخط الأخضر لعام 67 بلغ 313 كيلومتراً والخط الحالي على امتداد خط الجدار يصل الى ثمانمئة كيلومتر اتفاق جنيف يوصله الى ستمئة كيلومتر ولكنه يبقى خطاً طويلاً متعرجاً وغير طبيعي عدا عن ذلك لدينا أيضاً تجربة سبئة مع الفلسطينيين بصدد قدرتهم على تنفيذ القرارات خلفاً لحصر والأردن» ولذلك كان الحل هو ادخال طرف أمني ثالث للمعادلة ممثلاً في القوات الدولية. ومن اجل تخفيض الخوف الإسرائيلي من التطورات غير المتوقعة في الأردن أو في الضفة حدوث انقلاب داخلي مثلاً دفع الفلسطينيين بعد جدالات كثيرة للموافقة على ان تبقى اسرائيل في غور الأردن كتية من سلاح المشاة الكتبية ستدقي في الغور 36 شهراً بعد التوقيع على الاتفاق. بعدها ستتم دراسة الحاجة اليها من جديد. ووفق القوة متعددة الجنسيات ستكون هناك لجان مشتركة للقوة من اسرائيل والفلسطينيين غرفة عمليات مشتركة للأطراف الثلاثة ستقام في القدس القديمة. لجان عسكرية أمنية عليا من الاسرائيليين والفلسطينيين ستعقد هي الأخرى بصورة دائمة. الحجر الأساسي الإضافي في الملحق هو الوجود الإسرائيلي في اراضي الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح من خلال محطات انذار وهذه المحطات ستكون مناطق إسرائيلية ذات استقلالية ذاتية اتفاق محطات الانذار يستمر عشر سنوات، ولكن من الممكن تجديده بعد مرور خمس سنوات من التوقيع. سلاح الجو الإسرائيلي يستطيع مواصلة التحليق من أجل التدريب فوق الضفة باستثناء أيام الجمعة والأعياد الإسلامية والمسيحية والتحليق تحت ارتفاع ثمانية آلاف قدم واجتياز مسارات الجو المدنية محظور وسيكون للفلسطينيين الحق في استخدام مسارات الطيران المدنية فوق اسرائيل التي تستخدمها شركة الطيران الأردنية وهذا الاتفاق أيضاً قابل للدراسة مرة أخرى بعد عشر سنوات.

بالنسبة لقطاع غزة الافتراض الأساسي لمعدي الوثيقة هو ان الوضع السياسي فيها سيتغير الجداول الزمنية المعدة لتطبيق الاتفاق تظهر في مستهل الملحق الأمني. وهي كما هو متوقع تنزل الى تفاصيل التفاصيل في كل مرحلة يفترض بالاتفاق ان يعلق بصورة كاملة خلال ثلاثين شهراً سيصل الجانبان بعد نهائيتها الى الحدود الدائمة كما حددت في جنيف 2003 والتي تشمل تبادل الاراضي. الامر الأمن بين غزة والضفة الغربية سيدشن مغاب الحدود بين اسرائيل والدولة الفلسطينية ستفتح.